

التعريف بالبردي العربي.

١. صخري مخرطية

جامعة الجلفة

يزخر العالم العربي بالمخطوطات المتنوعة والتي تحتاج إلى العناية بها، وذلك بتحقيقها وتقديمها إلى القراء وكذلك من أجل التعرف على تاريخ وحضارة الأمم من خلال محتوى المخطوطات ولكن قبل الخوض في مضمون المخطوط وتحقيقه هنالك مرحلة مهمة في التحقيق وهي مرحلة دراسة الجانب المادي من المخطوط وهو ما يعرف بالكوديكولوجيا وهي علم صناعة المخطوط الذي يهتم بكل ما يتعلق بالجانب المادي من المخطوط كالخبر والورق والتجليد وغيرها وقد اخترت أن تكون مداخلتي في المحور الأول من من ملتقى علم صناعة المخطوط وهو الخاص بالتعاريف وذلك بالتعريف بنوع من أنواع الورق المستخدمة في المخطوط وهو البردي.

منذ أن اكتشف الانسان سر الكتابة أصبح يبحث عن وعاء لها وكان أول وعاء للكتابة الحجر وعرف الكتابة في الجلود وهي ما تسمى الرق وعرف كذلك البردي

تعريف البردي:

البرديات العربية» وهي اللقائف التي كانت منسية، ومطوية، حتى بدأ الأوروبيون الاهتمام بها في النصف الأول من القرن العشرين، وجمعوها من أنحاء مصر وخرجوا بها إلى المكتبات الكبرى في أوروبا، وظلت هناك إلى اليوم.. ويقال إن متحف فيينا وحده، يقتني حالياً أكثر من خمسين ألف بردية (مصرية) مكتوبة باللغة العربية.

البردي لغة:

بَرْدِيَّةٌ، جمع بَرْدِيَّاتٍ وهو: جنس نبات مائي عُشْبِيّ من فصيلة السُّغْدِيَّاتِ، يعلو نحو متر أو أكثر، يكثر وجوده في منطقة المستنقعات بأعالي النيل، انتفع به المصريون القدماء في بناء بيوتهم وسفنهم، كما صنعوا منه ورق البرديّ للكتابة عليه.

فالبردي نبات كالقصب تصنع منه الحصر كان القدماء يتخذون من قشره ورقا يكتبون عليه
• عِلْمُ الْبَرْدِيّ / عِلْمُ الْبَرْدِيَّاتِ: علم يُعنى بالبرديّ واستعمالاته خاصّة في مجال الكتابة عند قدماء المصريين

واليونان والعرب وغيرهم

مما لا شك فيه أن زراعة أي نبات لا تبدأ الا بعد اكتشاف قيمته الاقتصادية، وحيث أن قدماء المصريين اكتشفوا قيمة نبات البردي استخدموه في أغراض شتى أهمها صناعة الورق، لذلك لا يستبعد أنهم بدأوا في زراعة هذا النبات منذ الالف الرابع قبل الميلاد وربما قبل ذلك، وينمو نبات البردي في مياة غير عميقة لا يزيد

عميقها عن ذراعين، جداره في عرض يد رجل ممتلئ، طول جداره أكثر من أربع أذرع، وهو في الواقع ينمو على سطح الأرض، تنشعب جداره الرفيقه القصيرة إلى أسفل في الطين، ساقه مثلث يبلغ ارتفاعه عشرة أذرع.

إن ورق البردي كان يصنع من ساق تلك البتة التي توجد تحت الماء، وبعد أن تزال كانت الساق تقسم إلى شرائح طولية تمتد إلى متر تقريباً أو ثلاث أقدام ثم توضع الشريحة فوق الأخرى بشكل عمودي. وبعد ذلك كانت الشرائح تغمر بمياه النيل ثم تجفف تحت أشعة الشمس وتصل بعد ذلك وتساوى أطراف الورقة الناتجة أخيراً بحيث لا يتعدى طول الصفحة 25-30 سم.

كان أول استخدام لورق البردي في مصر القديمة وخصوصاً في مناطق النيل، وانتقلت بعدها في العصور القديمة إلى فلسطين وصقلية، واستخدم الورق في كل نواحي مناطق البحر المتوسط، وبعض مناطق أوروبا وجنوب غربي آسيا، وقد وصل إلينا من العصر اليوناني والروماني عدد كبير نسبياً من النصوص المكتوبة على ورق البردي، ومعظم هذه النصوص عثر عليها في مصر.

وإذا كان الأمر يتعلق بنص طويل فقد كانت تلصق عدة صفحات من هذا النوع بحيث يتشكل شريط يتراوح طوله من 6 إلى 10 أمتار، وفي حالات نادرة كان الشريط الواحد يمتد إلى 40 متراً وأحياناً أكثر من ذلك. وقد كان الشريط من هذا النوع يلف حول عود من الخشب أو من العاج كان يدعى "أومفالوس" من قبل اليونانيين و"أمبليكس" من قبل الرومانيين. أما اللقافة من ورق البردي فقد دعت توموس أو كيليندروس في اليونانية وفوليمون في اللاتينية.

وحسب أحد الجغرافيين من القرن الرابع الميلادي أن ورق البردي كان ينتج في ذلك الحين في الإسكندرية، وضواحيها فقط. وقد كانت الإسكندرية، بالطبع هي الميناء الذي تأتي إليه السفن من بلدان حوض المتوسط للتزود بهذه المادة الثمينة. وفي الواقع لقد كان ازدهار الإسكندرية، الاقتصادي منذ تأسيسها ينبع من التجارة بورق البردي.

وتعد أوراق البردي العربية من أهم المصادر التي يرجع إليها في الدراسات التاريخية فقد استخدموه لتحرير عقود البيع والشراء والزواج وادعوا به منشوداتهم وأوامرهم الرسمية.

وكان درج البردي يصنع في دور البردي ثم يتناوله الناس عن طريق التجارة ويتالف من عشرين ورق ملصق بعضها ببعض، وعلى الرغم من أهمية الأوراق البردية إلا أنه كثير من مؤرخين التاريخ الإسلامي لا يهتمون بدراسته فضلاً عن أن كثيراً منهم لا يعرف أي شيء عن علم الأوراق البردية ويعتبر المستشرق أدولف جروهمان قد وقف جزءاً كبيراً من جهوده العلمية لدراسة أوراق البردي والواقع أن الأوراق البردية لما لها من شأن في دراسة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر الإسلامي آذ انه من بينها نصوصاً تتعلق بالجزئية والخراج وإسناد المناصب وانظمة الإدارة وطرق التجارة وبناء العمارات والمساجد وإنشاء الأساطيل وأثمان البضائع والبيوت والأراضي الزراعية فضلاً عن عقود الزواج والبيع والشراء وإلى ذلك من المكاتبات.

إن هذه الأوراق البردية فضلا عن قيمتها التاريخية بوصفها المراجع الأصلية فهي تمتاز بأنها معاصره حتى للحوادث التي تسجلها وأنها محايدة، والواقع أن ورق البردي المؤرخ الذي وصل إلينا ينتهي إلى عام 323 هـ في بداية عهد الإخشيديين على حين أن الوثائق المكتوبة على الورق يبدأ تاريخها عام 300 هـ وقد ظل إنتاج البردي حتى سقوط الدولة الطولونية وعودة البلاد إلى الدولة العباسية وقد انتقلت في ذلك الوقت صناعة الورق من الصين وتوقف إنتاج البردي ويرجع تدهور صناعة قراطيس البردي في العهد الإخشيدي إلى قلة العملات الأجنبية الواردة إلى مصر من قلة صادرات البردي وقد يتبين لنا مشاركة مواد أخرى متنوعة في الكتابة إلى جوار أوراق البردي وذلك لسد احتياجات الدولة الفنية من مواد للكتابة في الدولة وفي الخلافة فقد استخدم مواد أخرى تنافس البردي كالرق والأدم والقضيم وكلها أنواع من الجلود فالرق هو ما يرقق من الجلد ليكتب عليه.

تعتبر وثائق البردي سجلا حافلا لماضينا المجيد ومشعلا مضيء لفترة هامة من تاريخ الأمة العربية وهي تمثل دون شك جزءا هاما من تاريخنا وحضارتنا كما أن هذه الوثائق حافلة بحياة أسلافنا الأدبية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والقومية.

وبعض النصوص التي تضمنتها هذه الوثائق الهامة عبارة عن رسائل أفراد من عامة الشعب إلى الحكام أو الولاة أو التجار أو ذوي القربى، وفيها تتجلى شكاوي الناس وحاجاتهم وتشرح عواطفهم، وتعطي صورة واضحة عن عاداتهم وطريقة عيشهم ومعاملاتهم وأذواقهم حتى التذاكر الطبية ووصفات العلاج من الأمراض، فوثائق البردي العربي تعطي الباحث فكرة كاملة عن مدى ما وصل إليه العرب والمسلمون من تقدم في شتى مجالات الحياة.

وتحتوي هذه الوثائق من البردي العربي جانبا من الحياة الاجتماعية حيث نجد عقود الزواج التي تعطينا شرحا لقيمة الصداق وتقدم نموذجا لعملية التوثيق وتبين عدد الشهود الذين يشهدون بصحة هذا الزواج وهؤلاء كانت تتراوح أعدادهم ما بين أربعة شهود وأربعين شاهدا على حسب الميزة الاجتماعية للعروسين. إن علماء الغرب قدروا لهذه الوثائق الأصلية من أهمية علمية تمكنهم من معرفة تاريخنا وطريقة حياتنا وعاداتنا ومقومات مفاهيمنا، بل وقفوا منها على جانب كبير من تشريعنا ونظمنا السياسية والاقتصادية بما يحتويها من جوانب مالية وإدارية في فترات التاريخ المختلفة.

كما اعطتهم وثائق البردي العربي صورة واضحة عن معالم الثقافة العربية وعلوم العرب من أدب وعلوم طب وغيرها.

ولم يكن هذا هو كل ما احتوته نصوص وثائق البردي بل وجدوا أوراقا مدون عليها آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف.

فبواسطة وثائق البردي العربي تمكنت مجموعة من المستشرقين من عمل دراسات ومقارنات على أسلوب الكتابة العربية قديما وحديثا.